جامعة الشهيد محمد لخضر – الوادي

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية **قسم العلوم الإنسانية**

السنة أولى ماستر

السداسي الأول : تخصص تاريخ حضارات قديمة

مقياس : النظم السياسية في العالم القديم

المحاضرة الثانية : نبذة عن النظام السياسي في بلاد الرافدين

النظام الأسري(بلاد الرافدين)

مفهوم الأسرة:

يعرف أوجست كونت "الأسرة على أنها "منظومة علاقات وروابط بين الأعمار والأجناس"،هنا نجد أن هذا التعريف واسع يشمل على مجموعة من العلاقات التي تربط بين الطفل الصغير والرجل وبين الذكر والأنثى دون تحديد ماهية وأسس وأطر العلاقة التي تجمع بينهم، مما جعل هذا التعريف يقلل من دقة التحديد لمصطلح الأسرة، فهم واسع وشامل . كما نجد في كتاب الأسرة ومشكلاتها للباحث "محمد حسن" تعريفا للأسرة، جاء فيه أن "الأسرة جماعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض، وهي تعتبر الهيئة الأساسية التي تقوم بعملية التطبيع الاجتماعي للجيل الجديد، أي أنها تنقل إلى الطفل خلال نموه جوهر الثقافة لمجتمع معين إذ يقوم الأبوان بغرس العادات والتقاليد أو المهارات الفنية والقيم الأخلاقية في نفس الطفل، وكلها ضرورية لمساعدة العضو الجديد للقيام بدوره الاجتماعي والمساهمة في حياة المجتمع ".

نشأة الأسرة ومراحل تطورها :

لقد نشأت الأسرة عن مرحلة فوضى جنسية بدائية تشبه إلى حد كبير الحياة التي يعيشها الحيوان، ثم انتقل الإنسان من هذه المرحلة إلى الزواج الجماعي، ثم التف الأبناء حول أمهاتهم وظهر النظام الأمومي Matriarchal وبعده ظهر النظام الأبوي Patriarchal والذي كان يشمل على تعدد الزوجات ثم بلغ أقصى تطوره ووصل إلى أسمى المعاني الروحية للأسرة وأخذ شكل زواج الرجل بزوجة واحدة.إن الأسرة بوصفها نظاما اجتماعيا قديما قدم النوع الإنساني في حد ذاته، إلا أن مسألة نشأة الأسرة وتطورها لازال يغطيها غموض، ولا يوجد تاريخ شامل لنظام الأسرة و مراحل تطورها ، منذ العصور القديمة حتى وقتنا الراهن، مما جعل بعض العلماء الدارسين لتاريخ النظم السياسية و الاجتماعية وتطورهما عبر التاريخ يضطرون إلى الاعتماد على التخمين والافتراض من أجل وضع نظرية للأسرة، وخير مثال على ذلك اعتماد الكثير من علماء القرن 19على مبادئ النظرية الداروينية التطورية ، والتي استمدت مبادئها من نظريات داروين، باعتمادها على مبدأ أساسي وخاص وهو أن جميع المجتمعات البشرية تتطور في نظمها الاجتماعية وتتغير، وهي بذلك تمر بمراحل تطورية، كل مرحلة تمثل انتقال المجتمع من حال أقل رقيا إلى حال أكثر رقيا، فمراحل التطور واحدة في مضمونها وأشكالها، لأن العمليات العقلية في الإنسان واحدة في جميع أنحاء العالم، وفي جميع العصور.

مراحل التنظيم السياسي في بلاد الرافدين:

مرّ التنظيم السياسي في بلاد الرافدين بعدة مراحل،أدت تدريجيا إلى نضوج الأنظمة السياسية،و تتضمن 4 مراحل ، وفق التطور الزمني و الاستقرار الاجتماعي الذي شهده العراق القديم ، و هي:

أولا: مرحلة الكهوف الأثرية: خلال فترة ما قبل التاريخ ،تبدأ مع استيطان الإنسان منطقة العراق القديم وتحديدا في نهاية العصر الحجري القديم الأوسط،و من مناطق هذه الفترة كهفي زوزر و هازرات ، عاشت شعوب هذه الفترة معتمدة على نظام أسري محدود تعيش كل أسرة في كهف و منعزلة عن بعضها البعض، تنعدم بينها العلاقات الاجتماعية ،تعتمد على الصيد في تلبية حاجتها من الغذاء.

ثانيا: مرحلة القرى الزراعية: أدى ظهور الزراعة، عقب اعتدال المناخ إلى تغير علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية المحيطة به تدريجيا ، و ساهمت الزراعة في عدة مظاهر ،عملت على استقرار حياة الإنسان في بلاد العراق القديم،فزاد من وفرة الإنتاج الزراعي ،و تدجين الحيوانات ، فأدى هذا الاستقرار إلى ظهور القرى الزراعية،و تحديدا منذ الألف التاسع قبل الميلاد ، و ما ميز هذه المرحلة ظهور معالم المجتمع ،تبعا للتجاور الجغرافي لهذه القرى،و أدى ذلك إلى تطور تدريجي للفكر الاقتصادي و السياسي، وظهرت الخطوات الأولى لبوادر نظام سياسي، و تمثلت في سلطة شيوخ القرية و أعيانها،و إنشاء مجلس يرأسه من له منزلة روحية لدى سكانها،ثم تطور مفهوم التجمعات الأسرية إلى نظام العشيرة .

ثالثا: مرحلة نشوء المدن ، و الدويلات المدن: ساهم النظام العشائري بتوسعه إلى ظهور نظام المدينة، و بعده نظام المدينة الدولة،و كان السومريون رواد هذا النوع من التنظيمات السياسية،و ذلك من خلال إنشاء مدن و اعمارها، بتوفير جميع المنشآت المعمارية المهيئة لاستقرار معيشي و اجتماعي ،كل مدينة محاطة بسور،مكونة من عدة قرى زراعية،أدى هذا الوضع الاجتماعي إلى ظهور نظام الحكم المحلي، يترأس كل مدينة نائبا أو وزيرا يلقب ب " آشي " يجمع جميع السلطات ،الدينية، التشريعية ، و التنفيذية، يساعده في تسيير الحكم المحلى مجلسان : مجلس الشيوخ و يضم شيوخ المدينة و أعيانها، و مجلس العموم ، ويضم ممثلين عن العامة.

رابعا: مرحلة السلطة المركزية الموحدة: بعد المراحل السابقة و التطور التدريجي لنظام الحكم السياسي على مر العصور، ظهر في بلاد الرافدين ما يسمي بالحكم المركزي الموحد ، من خلال فكرة توحيد المدن و الدويلات المدن، تحت غطاء حكم مركزي موحد وكان أول ظهور لهذا النوع من الأنظمة في عهد الحاكم " لوكال زكيري " في عهد الدولة السومريةن و الذي تمكن بعد سنوات طويلة من النزاع العسكري من توحيد جميع المدن السومرية و توسيع حدود المملكة ، عرفت الدولة المركزية الموحدة في عهده استقرارا في كافة مجالات الحياة، و يمكن أن نطلق عليها سياسيا كأول إمبراطورية في العالم القديم،و شهد النظام السياسي التحول من نظام الحكم المحلي إلى النظام الملكي الإمبراطوري ، و منها انتشر النظام إلى عديد من الدول الأخرى كبابل في عهد الملك حمورابي ، و من أهم إنجازاته تشريعه و الذي تضمن جملة من مبادئ و أسس النظام السياسي في العالم القديم.

نماذج من النظم السياسية الأسرية القديمة.

النظام السياسي الأسري في دولة بابل:

الأسرة الأولى، حكم العموريين 1894 ق.م-1585 ق.م

وقد انحصر اهتمام ملوك هذه المملكة البابلية القديمة بتوسيع منطقة نفوذهم في وسط بلاد الرافدين وبإقامة بعض الأبنية ولاسيما الدينية منها كمعبد الإله مردوخ، وبتشييد التحصينات والأسوار وتدعيمها لحماية المدينة من الاعتداءات الخارجية. وكان من أشهر ملوكهم سادسهم حمورابي(1750-1792 ق.م) الذي استطاع التغلب على جميع خصومه من ملوك الممالك المجاورة (لارسا وماري وأشنونة)، وبسط سلطته على بلاد الرافدين كلها منهياً بذلك حقبة طويلة من الانقسام والفرقة امتدت منذ أواخر العصر الأكدي ونتيجة لشهرتها في تلك الحقبة صار القسم الجنوبي من بلاد الرافدين يسمى بلاد بابل نسبة إليها الحكم الكيشيوبقيت مملكة بابل هذه قائمة حتى عام 1595ق.م حين سقطت بيد الحثيين الذين انسحبوا منها بعد نهبها واستولى على السلطة جماعات هندية . أوربية عرفت باسم الكاشيين الذين حكموا بلاد بابل حتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ونتيجة للضعف الذي عانته بابل في أواخر العصر الكاشي استطاع العيلاميون عام 1160ق.م احتلالها ونهب كنوزها.

وبعد ذلك بمدة قصيرة1137 (ق.م) قامت سلالة حاكمة في مدينة إيسن Isin سلالة إيسن الثانية استطاعت أن تقود المقاومة في وجه العيلاميين وتحرر بلاد بابل كلها من احتلالهم. واشتهر من هذه السلالة نبوخذ نصر الأول (1103-1124) ق.م الذي قام بحملتين ناجحتين على عيلام، لكن خلفاءه من بعده لم يستطيعوا الحفاظ طويلاً على قوة بابل فخضعت في العهود اللاحقة لسيادة ملوك آشور، وتعرضت عام 689 ق.م للتخريب والتدمير على يد سنحريب نتيجة ثورتها عليه. غير أن ابنه وخليفته أسر حدون أعاد بناءها استرضاءً لأهلها ولكون أمه بابلية .

عادت بابل إلى الظهور مرة أخرى في أواخر القرن السابع قبل الميلاد عاصمة امبراطورية كبيرة شملت بلاد الرافدين وبلاد الشام وقوة عظمى لها وزنها في تقرير سير الأحداث في الشرق القديم. وقد أحرزت هذه المكانة بعد أن تمكن نابوبولاصَر Nabupolassar من السيطرة على تلك المنطقة وتنصيب نفسه ملكاً في بابل عام 625 ق.م.

وبعد أن استتب له الأمر هناك دخل في تحالف مع الميديين كان من نتائجه القضاء على الإمبراطورية الآشورية الحديثة .

الحكم الأشوري

الدولة الكلدانية: أقام الكلدانيون ،وهم إحدى القبائل الآرامية . في جنوبي العراق منذ أواخر العصر الكاشي، وكوّنوا إمارات عدة، كانت أكبرها إمارة بيت داكورين وبيت ياقين، وبيت نافو، في المنطقة الواقعة إلى الشمال من الخليج العربي .وسيطرت قبائل آرامية أخرى على المنطقة الممتدة بين مدينة بابل وبورسيبا. أسس الحكم البابلي الجديد كلداني يدعى نابوبولاصَر(605-626) ق.م. وكان هذا حاكماً عيّنه الملك الآشوري على منطقة القطر البحري المتاخمة للخليج العربي، ثم ما لبث أن وسع منطقة نفوذه بعد موت آشور بانيبال باتجاه الشمال حتى وصل إلى مدينة نيبور. ولمَّا لمس ضعف آشور تجرأ على دخول مدينة بابل وإعلان نفسه ملكاً عليها. وبعد عشر سنوات هاجم الآشوريين عند نهر الزاب الأسفل ودحرهم، ثم حاصر مدينة آشور في العام 616 ق.م وارتد عنها.

ظهور الميديين (الإيرانيين) ونمو قوتهم مكّنه وإياهم من القضاء على الآشوريين وإسقاط عاصمتهم نينوى في العام 612 ق.م. ثم تمت السيطرة الكاملة على سوريا على يد ولي العهد نبوخذ نصّر الذي قهر الجيش المصري الذي أرسله الفرعون نيكاو الثاني إلى كركميش للوقوف في وجه التوسع البابلي في عام 605 ق.م، وهو العام الذي مات فيه نابوبولاصر، وجلس فيه نبوخذ نصّر الثاني(562-605 ق.م) على عرش بابل، ولكن المصريين وإن تكبدوا خسائر جسيمة في معركة كركميش لم يتوقفوا عن محاولة العودة إلى سوريا. فكانوا يستعدون الحكام

السوريين على البابليين، ومن بينهم أمير عسقلان في فلسطين الذي عاقبه نبوخذ نصّر ونهب مدينته عام 604 ق.م، ثم قرر بعد ثلاث سنوات مهاجمة مصر نفسها. ثم عاد إلى فلسطين من جديد لمهاجمة القبائل البدوية التي كانت موالية لمصر التي زاد شكه في نواياها حين تيقن من تفاهم جرى بين فرعونها وبين ملك يهوذا. فحاصر نصّر أورشليم حتى سقطت بيده عام 597 ق.م واقتاد معه إلى بابل نحو 3000 يهودي أسرى، وعين عليها «صدقياً» والياً .وكان ذلك عند اليهود السبي البابلي الأول. ثم عاد نصر فغزا أورشليم واقتحمها بعد أن حاصرها 18 شهراً في عام 586/587ق.م، ودمر هيكل سليمان ونقل خزائنه، ونفى أربعين أو خمسين ألفاً من أهلها «لينوحوا عند مياه الفرات» بحسب قول كتاب العهد القديم. وأطلق اليهود على هذا اسم »السبي البابلي الثاني .«وبعدها أعاد المدن الفينيقية التي استغلت الأوضاع وأعلنت العصيان إلى حظيرة الدولة البابلية، ولكن صور المنيعة استعصت عليه 13 عاماً حتى صالحته ورضيت شروطه .

كان الملك البابلي نبوخذ نصّر الثاني من الملوك القلائل الذين جمعوا بين الكفاءة الإدارية والبراعة في قيادة الجيش. كما كان يتمتع بحس فني ومعماري رفيع. ويشهد على ذلك إعادته مدينة بابل إلى مكانتها الرائدة في العالم القديم التي كانت قد وصلت إليها في عهد سلفه حمورابي .فأمست أشهر مدن العالم القديم نتيجة إنجازاته وما خلف فيها من المعالم الحضارية، ما خلد اسمها .حكم نبوخذ نصّر الثاني نحو 43 عاماً، وهي مدة تعادل قرابة نصف حكم الأسرة الكلدانية، إذ خلفه على العرش ابن له، ثم توالى بعده اثنان من الملوك وخلفهما الملك نابونيد539 -555) ق.م) الذي وصل إلى الحكم عن طريق الانقلاب، وكان خاتمة المطاف للسيادة البابلية في تاريخ الشرق القديم .

كان نابونيد من كبار رجال الدولة في عهد نبوخذ نصر الثاني، وكان يتميز بمحاباته لإله القمر «سين» الذي كانت والدته كاهنة له، فغرست في نفسه تقديم عبادته على غيره من الآلهة، ولاسيما رئيس الآلهة البابلية مردوخ . فجرّ هذا عليه سخط الناس وكهنة مردوخ. بدأ نابونيد حياته السياسية بالسير على خطا نبوخذ نصّر في قيادة الجيش وتفقد أقاليم المملكة، ومطاردة القبائل العربية في شمال غربي الجزيرة العربية، وعين ابنه نائباً له. فأساء الابن التصرف ولاسيما بتدخله في شؤون المعابد وأملاكها، بينما فضَّل هو المكوث في مدينة تيماء في شمال غربي الجزيرة العربية، لأسباب مجهولة مدة تقارب العشر سنوات

بعيداً عن العاصمة بابل. ولمَّا شعر بالخطر الفارسي، عاد إلى العاصمة التي كان أهلها ساخطين عليه وعلى ابنه، وكانت تعاني أوضاعاً اقتصادية متردية واضطرابات سهَّلت على ملك الفرس قوروش الثاني دخول البلاد في العام 539 ق.م من دون مقاومة، إذ استقبله الأهالي بالترحيب، وفي مقدمتهم كهنة مردوخ، فعين قوروش ابنه قمبيز ملكاً على بابل .

كانت الدولة البابلية الحديثة آخر دول بلاد ما بين النهرين الوطنية في تاريخ الشرق الأدنى القديم. وكان عصرها على قصره (539-626 ق.م) من أزهى عصورها السياسية والحضارية. وإن انتهى أثر بابل في التاريخ القديم في عام 539 ق.م دولة مستقلة، وانتهى دور آشور في عام 612 ق.م، فإن زوال أثرهما السياسي لم يتبعه زوال تأثيرهما الحضاري في الشرق والغرب معاً .

عن المطبوعة الجامعية : النظم السياسية في العالم القديم

من إعداد الدكتور : التجاني العمودي